

الصناعات في سوريا ولبنان

(٢)

(د) تربية دود القز

يلي الحبوب شجر التوت الذي يزرع بكثرة في السهول كما في الجبال من صور الى الاسكندرونة . ويطلب ان هذه الشجرة كانت موجودة دائماً في بلادنا فأوراقها تصلح طعاماً للحيوانات ويرجع انتشار زراعتها بكثرة الى القرن السادس عند ما كانوا يستجلبون دود القز من الصين عن طريق البوسفور ومن ذلك الوقت وشجر التوت يستعمل خاصة لتغذية دود القز

وتعطف اوراق التوت في الربيع ويتغذى بها الدود مدة ٣٦ يوماً ويكثر وجود شجر التوت حيث تؤسس صناعة الحرير فالمكثرات فيه ١٤٠٠ شجرة تقريباً ينتج ١٠٠٠٠ كيلو جرام من ورق التوت في موسم التوريد . وفي سوريا نحو ٢٠٠٠٠ هكتار تقريباً مزروعة توتاً

يربي دود القز في الجبال والسهول على اطباق من الصفصاف غالباً داخل المنازل او في ملاجئ بسيطة من فروع الشجر ومدة التربية تنقسم الى خمس « فترات » منفصل كل منها عن الاخرى بفترة صيام وطول المدة كلها ستة وثلاثون يوماً . اما مدة تكوين الشرقة فتأبى ايام ثم ترسل الشرقة الى المعمل لحنقها وحل خيوطها ووقية دود القز الصغير وزنها ٢٥ جراماً ونماتها قبل الحرب ١٠ فرنكات ويبلغ ما يتولد منها نحو ١٥٠٠٠ دودة على المتوسط تكون تقريباً ٢٥ كيلوجراماً من الشرائق الحية اما في فرنسا فتعطي اربعين كيلو جراماً تقريباً

ومتوسط ما تقدم للتربية من الدود الصغير كل سنة بين سنة ١٩٠٥ وسنة ١٩١٠ هو نحو ٢٥٠٠٠٠ اوقية ثلاثة ارباعها من فرنسا و٢٥٠٠٠٠ من بروكس وايطاليا و٦٥٠٠٠٠ من تربية اهالي سوريا

ويباع جزء من الشرائق للمغازل المنشأة في البلاد ويصدر جزء آخر الى فرنسا ومنذ سنين قريبة زاد الصادر نظراً لانخفاض سعر الحرير مما اضطر كثيراً من المعامل الاهلية الى التوقف عن العمل ففي سنة ١٩١٠ بلغ وزن ما انتج من الشرائق

٦١٠٠٠٠٠ كيلو جرام مما تقدر قيمته القصوى بمبلغ ٢٠ مليون فرنك بينما لم يكن المحصول في سنة ١٨٦١ إلا ٩٦٠٠٠٠ كيلو جرام

(٦) صناعة القزل

مذ ادخل البيزنطيون دود القزل الى سوريا اخذت صناعة الحرير تمتد وبلغت اوجها في القرن السابع تحت حكم خلفاء بني امية وبني العباس فكانت بلادنا تصدر الحرير الى اسبانيا ثم بعد ذلك الى فرنسا وفي ذلك العهد كانوا يخنقون الشرائق بقوة حرارة الشمس ويحلون خيوطها بعد ذلك على عجلات (دواليب) قديمة فكانت خيوط الحرير تلتف متلاصقة فوق محيط العجلة بلا رابط او اتصال مكونة خيوطاً متقطعة مشتمة يعسر فصلها بعضها عن بعض

وظلت الحالة كذلك حتى سنة ١٨٣٦ اذ انشئ في بيروت اول مصمل لحل الحرير على طراز معامل اوروبا في ذلك الوقت والفضل راجع في ذلك الى اثنين من رجال القرنيس هما الكونت دي لافرق والكونت دي ليمونت

وكانت آلات هذه المنازل مؤلفة من عشر عجلات وعشر خلاطين وكانت موافدة كل منها تحمي بالخطب ومن ذلك العهد اخذت طرق الصناعة الحديثة تمتد في سوريا واخذ الطوق يحل نهائياً محل الدولاب العربي

وادخلت بعد ذلك تحسينات على هذا الطراز الحديث من المنازل لحل البخار محل الماء الحار في الخلاقين والمحركات اليدوية وقام بخنق الشرائق بدلاً من حرارة الشمس. وهناك تحسينات اخرى ادخلت في اوروبا سواء على حل خيوط الشارقة او خنقها. وهذا التقدم زاد في نتاج المنازل فبدلاً من استعمال بخار المياه لخنق الشرائق يستعمل الهواء الساخن وفائدة انه يوفر عملية التجفيف التي كانت تستلزم مساحات كبيرة من القروش ويحفظ لون الشرائق الطبيعي ولعماتها ويدفع عنها خطر العطن

ومما يروى له ان المنازل السورية لم تنجح على متوال منازل اوروبا في هذا التقدم الاخير وانها تركت تسها متصرة في هذا المضمار حتى ان الكثيرين كفوا عن هذه الصناعة نظراً لمعجزهم عن التصال مع البلاد الاجنبية حتى اضطروا

فما بعد ان برسلوا الشرائق اليها . وليس في لبنان كله الآن الا معسل الارملة جبران في بلدة « القرمة » وهو الوحيد المنشأ على الطراز الحديث ومعدل الربح الصافي في المغازل السورية يساوي ١٢٦٥٪ من رأس المال او ما يعادل خمسة فرنكات ونصف في كل كيلو جرام من الحرير الخام . وهذا الحساب مبني على ان ما تنتجه ١١٣ كيلو جرام من الشرائق هو كيلو جرام واحد من الحرير الخام . وفي الامكان زيادة هذا الربح حتى يصل الى ٨ فرنكات في الكيلو جرام من الحرير وذلك بزيادة الاهتمام بزراعة التوت والتنقية وحزم ارساليات زرا الدود وتربية دود القز واتقان آلات فرد الخيوط فيزداد رخاء البلاد ازدياداً محسوساً

كان يصل في سوريا قبل سنة ١٩١٤ نحو ٢٠٠ مغزل منها ١٥٠ تقريباً في لبنان يصل فيها نحو ١٠٠٠٠ من العمال والعاملات وكانت كمية الحرير المستخرجة (في سنة ١٩١٠) ٥٢٧٠٠٠٠ كيلو جرام تقدر بمبلغ ٢٦ مليون فرنك ذلك لان متوسط اسعار الحرير (من الدرجة الاولى والثانية) الذي كان يستعمل في مدينة ليون بين سنة ١٩٠٠ وسنة ١٩١٠ يتراوح بين ٣٩ و٥٤ فرنكا في الكيلو جرام . ولان اغلب الحرير المستخرج صدر الى مدينة ليون اذ لم يبلغ مقدار الشرائق الحريرية التي ارسلت في نفس تلك السنة الى فرنسا سوى ٤٨٠٠٠٠ ك . ج فقط مع ان ما اتجته البلاد منها كان ٦١٠٠٠٠٠ ك . ج

اما اليوم فقد هبط المحصول الى ١٣٠٠٠٠٠ ك . ج من الشرائق ولهذا فقد توقف عن العمل نحو ثلثي المغازل ولهذا ايضاً قل ما يصدر من الحرير الى فرنسا واغلب محصول الحرير يبقى الآن في سوريا ويرسل الى دمشق وحمص وحماة وحلب . وسبب قلة المحصول هو سقوط سعر الحرير وانخفاض زراعة شجر التوت اثناء الحرب وقلة الايدي العاملة بسبب كثرة الوفيات في تلك الايام القاسية وايضاً تضاعف اجور العمال بعد الحرب فصناعة الحرير تسير سيراً حثيثاً الى الانحلال والوال . ولا يفتان هذا التيار الجارف يجب الاهتمام باعادة هذه الصناعة على الاقل الى حالتها العادية قبل الحرب وذلك باستئصال شأفة الاسباب التي ادت الى اندثارها بتحصين طرق تربية دود القز وحل خيوط الشرائق كما اوتمتاد سابقاً ومن اللازم تقديم التسهيلات لرجال الصناعة الاختصاصيين ومدعم بالادوال

بارباح معتدلة فعلى الحكومة ان تتقدم في ذلك لمعاونة المربين والفرايين وذلك بما يأتي : -

(اولاً) الاتفاق مع الشركات المالية لاقرضهم الاموال في مقابل ضمانات وبذلك يتخلص رجال الصناعة من الطلبات الباهظة التي يشغل بها عليهم الوسطاء بينهم وبين المستهلكين في ليون او غيرها فلو كان السمسرة كان من دأبهم ان يستزفوا جزءاً عظيماً من الارباح

(ثانياً) السماح للفرايين والمربين بتأليف نقابة غرضها السعي في توزيع حاصلاتهم اما في سوريا او في الخارج لتعود باحسن كسب ولتلك يتحتم ان يقيم عضو من اعضاء النقابة بصفة مستدعية في ليون ليديم اتصال هيئة النقابة في سوريا معجى السوق وتقلب اسعار الحرير او الشرائق

(ثالثاً) ارسال عدد من الطلبة الى فرنسا لتلقي اصول الصناعة في معاهد تربية الدود والمغازل اذ يستطيع هؤلاء الطلبة لدى عودتهم الى البلاد ان ينشروا بين مواطنهم المعلومات التي اغتفروها من تلك المعاهد والمغازل الفرنسية (رابعاً) انشاء عدد من المغازل الحديثة كنهاذج في البلاد يكلف

الاختصاصيون والمزارعون زيادتها كثيراً ذلك لكي يكونوا على بينة من مجرى التقدم الخارجي الذي تسير فيه صناعة الفزل وذلك يدعهم ايضاً ان يدأبوا على اثنان ما عندهم طبعاً لما يماينونه اثناء زيارتهم . ولن تحصر البلاد السورية بذلك شيئاً اذ مما قليل تجنى الثار وتتمكن في نموذجات مغازلها المنشأة على اقتاض المغازل المهجورة من ان تفزل خيوط الشرائق الحريرية التي تجمها من المربين بصفة ضريبة ويمكن ان توزع الارباح الناتجة كل سنة بصفة مكافآت لافضل المربين وامر الفرايين . ونذكر هنا انه يتما كان الحرير في جميع الولايات مثقلاً بضريبة العشر البالغة نحو ١٠ الى ١٢ / كان لبنان وحده مفضى من هذه الضريبة وقبل ختام بحثنا زى ان نورد بعض الاقتراحات الشبيهة بالرسمية التي عرضت حديثاً على المراجع العليا لمعالجة الحالة المزعجة التي وصلت اليها اليوم صناعة الحرير في سوريا وعدم احتمال وجود الدواء الناجع لتحسين حالتها الموسمية لتقف موقفة المناقشة الراجعة بازاء الحرير الياباني

وهذه الاقتراحات تقضي بترك صناعة الحرير اصلاً في لبنان وجميع مقاطعات

سوريا مما يقضي بانتزاع شجر التوت من صنته واستبداله بأشجار الفاكهة. وقبل
الاشارة الى اي حل قاطع للمسألة يجدر بنا ان نبعث في منافع ومضار كل من
هاتين الصناعتين وان لا نعارض في الحكم على المستقبل مستندين الى وقائع لم تكن
الا عرضية يسهل علاجها

ولا يفوتنا كما مر بنا في هذا البحث انه من سوريا دخلت صناعة الحرير الى
اوربا وان هذه الصناعة تمارس عندنا منذ القرن السابع فطبيعة ونوع الشرائق
الحريرية السورية تؤهلها لان تقوم مقام الشرائق الفرنسية وان تنتج افضل حرير
في العالم - ميزتان يعجز عن منافستها فيما الحرير الياباني - ومعلوم ان قطن الوجه
البحري المصري لا يقوم مقامه اي محصول آخر مماثل من اية قارة في صنع
المنسوجات الحريرية المقلدة كما ان بعض المنسوجات الحريرية في ليون لا يمكن ان
تصنع الا اذا اندجت مع الحرير الفرنسي او السوري وحدها. اذن ليس نعمت من
داع الى الغلو في تحرفنا من منافسة الحرير المصنوع في اليابان . وعليه فاذا كان
هناك حاجة الى علاج في مسألة صناعة الحرير في سوريا فالبدار الى تنفيذها لا
هدم كيان الصناعة بالمعاول بل لتوطيد اركان حياتها . واذا اردنا انشاء صناعة
الفاكهة بدلاً من الحرير نواجه خطراً حقيقياً هو خطر المنافسة الاجنبية وهناك
مصائب اخرى ملازمة لزراعة اشجار الفاكهة كما هو معروف

قد يكون من المقبول عقلاً انه بينما تنقص في الحقول زراعة التوت تدريجياً
تحل محله زراعة الخضار وزراعة البرتقال وايضاً بعض اشجار الفواكه الاخرى بما
يلائم طقس المنطقة وتربة الارض الا ان الامر يكون خطيراً اذا كان بدلاً من
هذا النقص التدريجي يوضع نظام قاطع مع غير سابق استعداد او تجربة يقضي
باعدام زراعة التوت دفعة واحدة . وليس من يجمل ان الفاكهة في دمشق كثيرة
جداً وتباع اليوم باسعار بخسة مع الفلاء الحالي فالذي يتأق اذا اتقلت سوريا
باسرها حديقة فاكهة . فان الفاكهة تصبح بخسة رخيصة حتى يقدر تصديرها
للخارج ضرباً من العبث فيضطر فلاحونا لفرحها اكوناً في المداود لاطعام حيوانهم
كما يصنع مزارعو البرينون في شمال فرنسا . وقد يجري درس زرية الحرير في
سوريا المرحوم سليم بك اصفر المهندس الزراعي الشهير وحق عنها كتاباً باللغة العربية
كما كتب عن صناعة الحرير حضرة الميسر ألبرت نقاش المهندس المعروف ومجد

الاختصاصيون وغيرهم في هذه الكتب تفاصيل ومذكرات واقية ومفيدة جداً
(٧) صناعة المنسوجات الحريرية

ذكرنا سابقاً انه قبل الحرب كان الجزء الأكبر من الحرير يصدر الى فرنسا
ومقدار صغير منه يبي في البلاد ليستعمل في معامل النسيج
واليوم قد زال الصادر منه بالمرّة لانخفاض اسعار الحرير في اسواق اوربا
فكل الحرير الذي تنتجه مغازل سوريا في الواقع تستهلكه البلاد بنفسها.
والترصة جيدة يجدر اتيها ما تشجيع الاختصاصيين حتى يعملوا على ترويج
صنع الانسجة الحريرية التي كان لها فيها سابقاً شأور فريع. فقد كان الاقبال
على هذه الاقشة عظيماً نظراً الى مناتها وجمال الوانها واليوم تعرف في الاسواق
تحت اسماء مختلفة هي صرّي وقطني والاجا وتستعمل في صنع الملابس وزينة
الفرش في الاناضول والرومي الشرقي ومصر ومراكش. وهي اما مقلّفة او مبرّقة
او سادة او موشاة بالخيوط الذهبية والفضية وكان سابقاً ما يقرب من ٤٠٠٠٠
نول لنسج الحرير في دمشق وحلب وحمص وطرابلس ودير القمر والزوق وبيروت
اما اليوم فلم يبق منها الا ٦٠٠٠ نول تقريباً

فاذا كانت هذه الصناعة لم تعد بعد زاهرة كما كانت في الماضي فذلك راجع
اولاً الى المشور الثقيلة المفروضة على المصنوعات الوطنية ثم الى مناعة الاقشة
الحريرية الاجنبية التي ترد اليها وتفرق اسواقها يرخس اعمالها وقلة الضريبة
المفروضة عليها في الجمارك (١١/ فقط) فضلاً عن المشور الداخلية
والانوال المستعملة الآن من طراز قديم مصنوعة من خشب بمحركات يدوية
اقبية على الطريقة العربية القديمة تحمل الحائك مشقة كبيرة. وهناك غير ذلك
بعض المصانع الحديثة على طراز جاكارد منها عشرون في دمشق اتيها ضئيل
لانه ينقصها الاذكياء المقدرين من رؤساء العمال لادارتها وعشرة اخرى في
بيروت في مدرسة ملجأ اليتام الفنية للقديس يوسف يلزمها اصلاح في دوليتها
حتى يزداد اتيها

ومما يؤسف له ان نسل حركة مثل هذه الصناعة لقلة العمال الفنيين فالطاجة
ماسة الى انشاء مدرسة صناعية تخرج لنا شيئاً خبيرين في كل فرع من فروع
صناعاتنا. ولقد شمر الارك سابقاً هذه الحالة فانشأوا في رأس بيروت مدرسة

للفنون والصنائع. منذ تامين انشئت باشارة المندوب السامي في بيروت مدرسة للمهندسين على نظام مدرسة ليون ووضعت تحت ادارة كلية القديس يوسف انها حركة مباركة تستحق البناء لان البلاد في احتياج الى فنيين لتخطيط طرقها وسككها الحديدية وانشاء حكايرها ومطابخها والاحتفاظ بمياهها وحفر الترع فيها. ولكن متى علمنا فوق ذلك ان الصناعات في بلادنا تتطلب انساناً اختصاصيين ليديروا آلاتها ويصلحوها ويتقنوها بقصد تخليصها من موت محقق يرى ان من المتحسن ان تحول مدرسة المهندسين الى مدرسة صناعية تحوي فرعين منفصلين الاول منها يختص لتربية تلامذة مقتدرين يصلحون عمالاً او ماعدي رؤساء عمال في معامل مختلف صناعاتنا. والثاني منها يلتزم فيه متخرجو القسم الاول وغيرهم من الخارج من حملة شهادة اللياقة تعليماً طائلاً يؤهلهم بعد الامتحان النهائي للقب مهندس. وهذه المدرسة ستصبح بفضل ادارة الميسر اودينو كرئيس مجتهد ومختبر منبعاً خصباً بمد كل مقاطعات سوريا بالموظفين الفنيين وعلاوة على ذلك فهذا هو تقص البرنامج الذي تدير عليه الجامعة الاميركية في بيروت في التعليم الفني فقد انشأت مدرسة الهندسة في بيروت. وانشأت المرسلون الاميركيون في صيدا مدرسة صناعية في قرية الميومية في ضواحي المدينة. وستفقد هذه المدارس ايضاً واقياً من الدمار لعناقاتنا التي هي في حاجة الى ما يشجعها ويحميها لتنهض وتتبواً محلها الاعلى الذي كان لها سابقاً في العالم والوسيلة الاخرى من وسائل حماية حاصلاتنا الصناعية هي ان تقوم الحكومة بلا ابطاء بوضع تعريفه تحدد بمقتضاها أسعار الواردات بدلاً من الضريبة الجمركية ١١. وهذا موضوع لا يتم الا بموافقة الدول المعظمى

ثم ان الاتفاق الجمركي الاخير بين فلسطين وسوريا يقضي بفرض ضريبة على كل ما يدخل فلسطين من المصنوعات السورية التي يدخل في صنعها كيمياً او جزئياً مواد اجنبية. فهذه الضريبة مضره بالمنسوجات الحريرية والتقطنية التي ترسل سنوياً الى فلسطين بمقادير عظيمة. وبناء على ما تقرضه هذه الضريبة الجديدة على الصادرات ترى التجار في دمشق مضطرين الى رفع اسعار المنسوجات ثم يعجرون عن تصديرها الى فلسطين اذ تحمل عليها هناك المنسوجات الاجنبية المماثلة. فيخشى من كل هذا ان يزداد تقص صناعة المنسوجات علاوة على ما حل

بها الى الآن من الاندثار بل يخشى ان يضطر اصحاب الصناعات في دمشق الى المهاجرة ونقل معاملهم معهم . فلا بد من معالجة هذه الضريبة الجمركية لتخليص الصناعات السورية المهمة من الدمار

وعدا ذلك فعلى سكان مقاطعات سوريا المختلفة ان يقوموا من تلقاء انفسهم بحماية الصناعات المحلية وذلك بكثرة استعمال المنسوجات المصنوعة عندهم . وهذا الضرب من الوقاية ليس جديداً في بابيه فقد مار عليه في سنة ١٨٨٠ الرجل الوطني العظيم مدحت باشا حاكم سوريا حينئذ . وبعده في سنة ١٩١٠ قام نور الدين بك والي بيروت بنفس العمل وقد كان يتضي نظامهم على الذكور والانات من اهل البلاد بالارتداء ملابس من قطن او حرير الا من صنع البلاد

(٨) صناعة المنسوجات القطنية

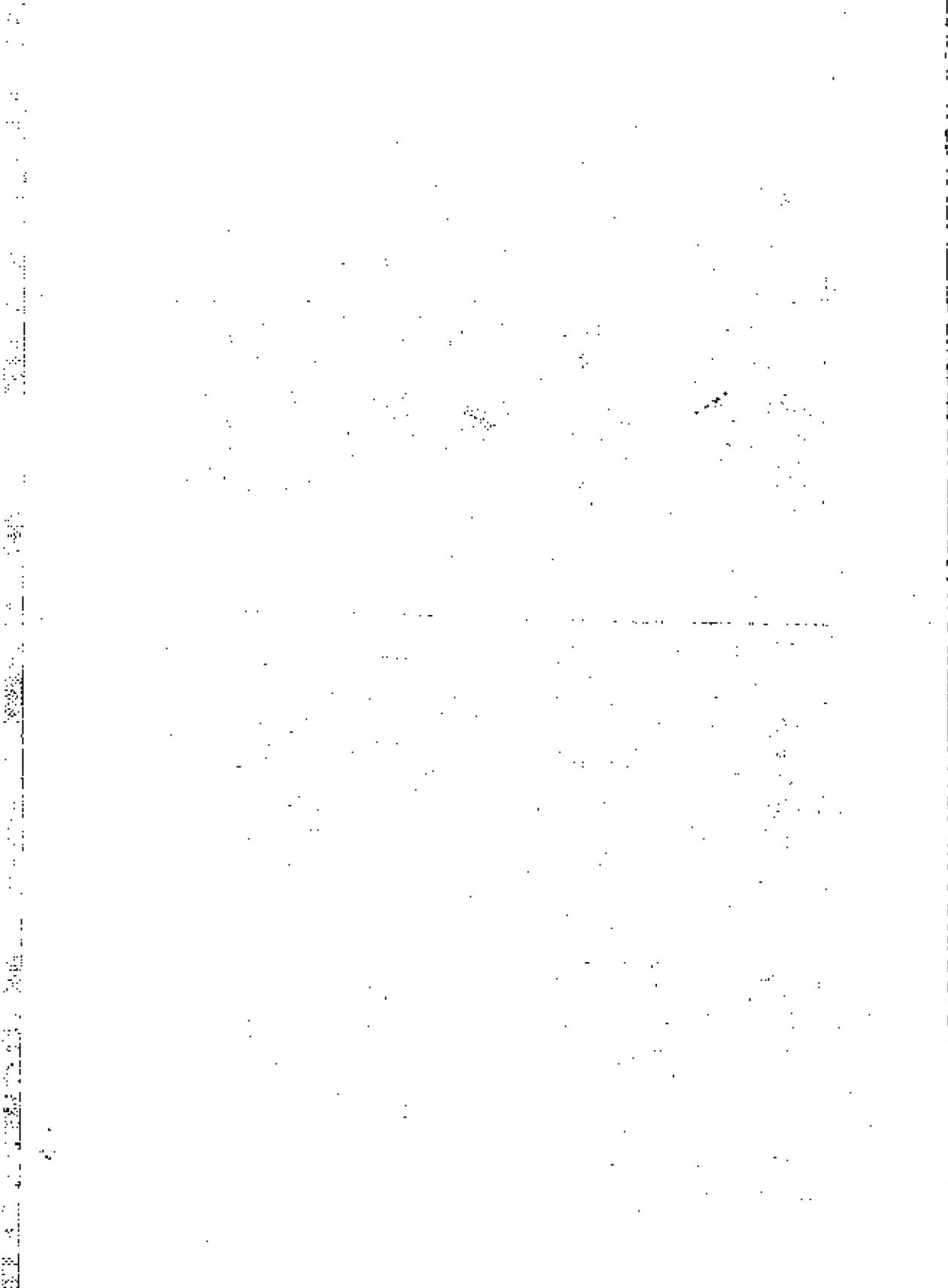
الاقتشة الحريرية السورية تكون غالباً مزدوجة او مفتولة مع خيوط القطن فيها سلف كان القطن يستجلب من نابلس وصيدا ومرسين ويقزل في معامل بيروت ودمشق اما اليوم فانقطن المغزول يرد من اوربا لان ثمنه البض عمم استعماله ليس فقط في المنسوجات الحريرية بل في المنسوجات القطنية الوطنية التي منها نوع يسمى « ديمبا » يصنع في كل الجهات تقريبا وخاصة لبنان في قرى بكفيا وبيت شباب والزوق وبرحا وشحيم وهذا النوع ينسج في اكثر من ٦٠٠ نول والديمبا تستعمل بكثرة في البلاد لاسيما في الداخلية كاقشة لباس وتصدر بالمثل للبلاد الشرقية المجاورة لسوريا وقد قل المصنوع منها في ايامنا هذه لقلة الايدي العاملة ورخص اسعار المنسوجات القطنية الاجنبية

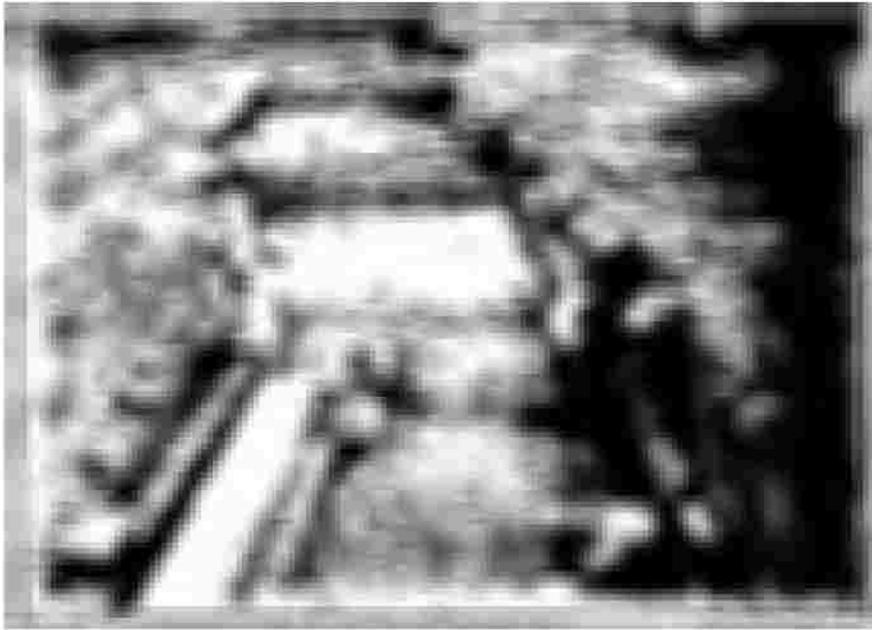
فلاجل ان نعيد الى صناعة الديمبا يسرها الماضي علينا ان نعيد فتح مصانع غزل القطن القديمة التي تسببت في اقبالها المنافسة الاجنبية وعلينا ان نصلحها طبقاً للانظمة الحديثة ونعدها بالقطن المزروع في سهل انطاكية وحلب وصيدا ودمشق

وكانت قيمة المنسوجات الحريرية او القطنية المصنوعة في سوريا قبل الحرب تبلغ سنوياً حول عشرين مليون فرنك

ادمون بشارة

المهندس





خرائب ييسان



الآلة المطلة على خرائب ييسان

مقتطف أبريل ١٩٢٢

امام الصفحة ٣٩٦